من مزاعم الفكر المادي الإلحادي

١ ـ الوجود في أصله وتنوعاته مادي

٢ ـ المادة خالقة لا مخلوقة .

الدكتور / أحمد عتيبي عوض الجمال

كلية أصول الدين ـ القاهرة

قسم العقيدة والفلسفة

المتتبع لحركة الفكر الإنساني في مسيرته عبر الزمان والمكان قديما وحديثا يستطيع أن يرصد عدة اتجاهات أساسية تلم شعثه وتنظم عقده ، وتحدد ملامحه ، هذه الاتجاهات يمكن أن تصنف إجمالا في ثلاث :

١ ـ الاتجاه الأحادي الروحي .

٢ ـ الاتجاه الأحادي المادي .

٣ ـ الاتجاه الثنائي .

فالاتجاه الأحادي الروحي ، اتجاه فلسفي قديم ، يؤسس على القول بوجود أصل واحد ، أو عنصر واحد ترجع إليه كل الظواهر والتنوعات في الوجود ، وهذا يفسر كونه أحاديا أو واحديا ، أما أنه روحي ، فلأنه يرى أن الروح فقط هي الأصل أو الأساس أو العنصر الذي به وحده يفهم أصل الوجود ، وتعزى إليه كل تنوعاته .

أما الاتجاه الأحادي المادي ، فهو كذلك اتجاه فلسفي قديم يتفق في أن المادة وحدها هي الأساس الأوحد للوجود ما في أصله وظواهره ،

فهو من ثمة يلتق مع الاتجاه الأول فى القول بالأحادية أو الواحدية ، ويفترق عنه بإقرار المادة دون الروح .

أما الاتجاه الثالث ، أو الاثنينى، فهو اتجاه فلسفى يقول بوجود أساسين متساويين : المادة والروح ، وهو اتجاه قديم تبناه فلاسفة عظام ، منذ طلوع فجر الإنسانية إلى اليوم .

كما قد تبنى الاتجاهين الآخرين مفكرون وفلاسفة فى القديم وفى الحديث وعلم التاريخ وسجل مقولاتهم وآراءهم التى تسجرها حول ذينك الاتجاهين .

ومن المفيد هنا أن نذكر أن الاتجاهات الدينية بعامة يشملها الاتجاه الثالث . فأرباب الديانات والملل بله الرسالات السماوية تقر إقراراً تاما بالمادة والروح ، أو عما يسمى فى نطاق الفلسفة : الطبيعة ، وما وراء الطبيعة .

ولنا أن نفهم من هـذا التصنيف الثلاثى لاتجاهات الفكر الإنسانى أن القائلين بالثنائية ليسوا ماديين ، لقولهم بمـا وراء المـادة ، كما أنه من باب أولى ، لا يكون القائلون بالروح وحدها ماديين ، لإنكارهم مادون الروح تماما .

أما الماديون على الحقيقة ، فهم القائلون بالمادة وحدها ، وبها يفسرون الوجود بدءاً وتطوراً .

ومفهوم المادة عندهم ، هو ذلك الذى ينصرف إلى العالم المحسوس ، الذى يدرك بالحواس مباشرة ، ومفهوم الماديين لذلك يخص الفلاسفة والمفكرين الذين لا يعترفون بالوجود إلا للأشياء والأجسام المادية فقط .

والمادية التى هى عقيدة الماديين ، قديمة قدم الحضارة الإنسانية ، ، نتراءها فى اليوذية عند قدماء الهنود ، وفى النظم الدينية عند الصينيين ، وعند أعظم الأمم القديمة مدنية — أعنى المصريين — وتجدها فى شكل

منتظم عند اليونان الأولين . فقد كان فلاسفتهم الأقدمون ماديين(١) » .

وتعبر المادية القديمة الزمان ، فنجدها — وبخاصة المادية اليونانية — قد انتعشت فى أوربا منذ القرن السادس عشر الميلادى ، حيث دخل العلم الحديث بكشوفه الضخمة ، وجاءت الثورة الصناعية بتحولات جذرية فى العلم والفكر ، ونتج عن ذلك بوجه عام أن « نظر كثير من العلماء إلى الوجود نظرة مادية بحتة ، فأصبحوا لا يرون فيه غير المادة ، وأصبحت الحياة فى نظرهم ... صفة من صفات المادة » .

وبذا أنكروا الروح إنكاراً تاما ، وأنكروا وجود الله ، ومن هنا ثارت عليهم الطوائف الدينية كلها ، ووصفتهم بأنهم ماديون ، ووصفت مذهبهم بأنه مادى »(٢) .

ومن حيث أن المقام لا يتسع لمزيد من حديث عن تاريخ وتطور الفكر المادى ، ولا عن مزيد من الحديث عن مفهوم المادة ، والفكر المادى ، ولا عن التفرقة بين مادية الفكر ومادية العلم . فإنا نترك كل ذلك، لندخل إلى مرتكزات الفكر المادى .

الفكر المادى إذن بالمفهوم السابق فكر كفرى إلحادى ، يلوذ بالمادة وحدها ، ويشكل أكبر هجمة على الدين ومقرراته عبر التاريخ كله .

ولكى يصنع إطاراً فلسفيا لمنحاه هذا قال عن وثاقة :

١ — الوجود فى أصله وتنوعاته مادى بحت .

---

(١) مبادىء الفلسفة ، ا . س رابوبرت ، ترجمة أحمد أمين، ص١٧٩، ط ٥ ١٩٦٩، لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٢) الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه ، د / محمود عبد الحكيم عثمان ، ص ١٥ ، مطبعة حسان ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية .

٢ — المادة أزلية أبدية .

٣ — المادة خالقة لا مخلوقة .

٤ — الموجود هو المحسوس .

٥ — أدوات المعرفة منحصرة في الحواس وحدها .

٦ — العلم بديل عن الدين في توجيه الحياة والإنسان .

٧ — الأخلاق محكومة تماما بالمنفعة المادية .

ولنتصور في ضوء كل ذلك ماذا عساه يكون موقف الماديين من قضايا الدين ومقرراته . ولن نحتاج إلى كثير من التأمل لنعرف أن المادية هي أعدى أعداء الدين ، وأعنف المخاطر التي يمكن أن يواجهها .

والحديث مع الفكر المادي في كل مزاعمه يطول ، ومن ثم آثرنا أن نقف معه في زعمين من هذه المزاعم نرسل معه حبل الكلام فيهما ، لنرى إلى أي مدى قد يصيب فيهما أو يخطيء .

الزعم الأول : الوجود في أصله وحقيقته مادة . وهذا الزعم يمثل أصل الأصول في الفكر المادي ، قديمه وحديثه على السواء ، فالمادية في حقيقتها تطلق ، على المذهب القائل بأن الظواهر المتعددة للأشياء ترجع إلى أساس واحد هو المادة .

ويرى أن العالم مجموعة مكونة من شيء واحد هو المادة ، ويذهب إلى أن المادة أساس كل شيء »(١).

لا فرق في ذلك بين المادية القديمة والمادية الحديثة كما ذكرنا ،

---

(١) مبادىء الفلسفة ، ص ١٧٣ .

فالمادية الحديثة مثلا، تركز تركيزا تاما على : أن كل شيء إما مادة ، أو مظهر من مظاهر المادة ، والمادة لا تحد ولا تفنى ، وقوانينها أزلية لا تتغير .

وهذه المادة لم يخلقها الله ولا الإنسان — بل هي قــديمة — أزلية أبدية ، لاتتغير ولا تفنى . وليس في هذا العالم شيء يعتريه الفناء ، ولاذرة واحدة ، وإنما تتغير الأشكال »(١).

ولأن كل شيء إما مادة ، أو مظهر لها ، فإن العقل والفكر والنفس والوجدان والعاطفة كلها من ثمار المادة ، أو حالة من حالاتها .

حتى الموت ذاته حالة من حالات المادة ، وتغير من تغيراتها .

وإذا صح ذلك في منطق الفكر المادي ، فلا إله يفوق هذا العالم المادي ويباينه ، وقل بعد ذلك كل ما يمكن أن يقال . فكل مقررات الأديان عن عالم ما وراء المادة ، أوما وراء الطبيعة ، هراء من القول ، وخرافة باطلة، قضى عليها نهائيا .

ومن مترتبات ذلك أيضا : أن المعرفة حسية ، والأخلاق مادية .

إن قناعة الفكر المادي بالمادة وحــدها ، جعلت منه عدواً شرساً وتقليدياً للأديان ، والفــكر الديني .

ولأن الفــكر المــادي قد وجد في منتجات العلم ما يؤيد به مزاعمه ، بل ما جعله يدعى لتلك المزاعم العلمية ، فإنا سنتجه إلى العلم نفسه ، نستنطقه ، حقيقة هذا الزعم ؟.

---

(١) تمهيد الفلسفة ، د/ محمود حمدى زقزوق ، ص ١٨٠ ، مكتبة الأنجلو المصرية .

والبداية مع العلم ستكون مع العلم الحديث الذى كان أمضى سلاح فى يد الفكر المادى ، حسم به قضية مادية الوجود .

والبداية مع العلم الحديث ستكون مع مجال الأبحاث المرتبطة بالروح، لنرى إلى أى حد عالج هذه الأبحاث ، وبأى منهج تناولها ، وإلى أى مدى من النتائج بلغ فيها .

والبداية بهذه الصورة طبيعية منطقية علمية معا ، لأن الإقرار العلمى ، بالروح ، هو إقرار بموجودات وراء المادة ، وهو إقرار حاسم بعالم المجردات ، هذا العالم الذى تنافح عن حقيقة الأديان والفكر الدينى .

وكل ذلك بلاشك يحدث خللا كبيراً فى البناء الفكرى للاتجاه المادى ، ويهز أسسه لأصيل من قواعده ، ليضطرب البناء كله .

فإذا نحن واجدون لدى العلم ، بداية نقرر :

١ — أن مجال الأبحاث الروحية كان من المجالات التى اتجه إليها العلم ، وأغرب منه اتجاه الماديين أنفسهم إليه ، منذ ما يقرب من نهاية القرن الماضى .

٢ — أن هذه الأبحاث اضطر إليها العلم اضطرارا ، لأنه بعد استبان له أنه لا يستطيع أن يحل معضلات الكون ، وظواهر الوجود ، وفق الأبحاث فى المادة وحدها ، وأدرك عن يقين أن كل ما حصله من مكتشفات علمية لا تتجاوز العلاقات الظاهرية فقط ، دون النفاذ إلى ما وراء تلك العلاقات ، وأن وسائل التجربة الحسية غير كافية فى التعرف على العالم الكامن وراء تلك الظواهر .

٣ — أن هذه الأبحاث ، داخلتها مناهج العلم الحديث ، فعولجت على أساس من المشاهدة والتجربة ، فكانت له نتائج جد ثمينة فى نطاق هذه الأبحاث .

فى « الأبحاث الروحية الحديثة ، التى تقوم على التجارب والمشاهدات ، قد أثبتت وجود أشياء ، كثيراً ما كان الماديون ينكرونها ، وبواسطة هذه الاكتشافات قد انحسرت الموجة الإلحادية ، وأصبح الإلحاد يواجه بواسطة المنهج التجريبى ، الذى يعتمد عليه »[١] .

٤ — أنه قد تشكلت للدراسات الروحية فرقا من العلماء ، فضلا عن الأفراد ، تأسست منهم جمعيات ، فى انجلترا ، وأمريكا وفرنسا ، وغيرها تحمل أسماء مختلفة .

٥ — أن الماديين أنفسهم بل غلاة الماديين ، قد اتجهوا إلى تلك الأبحاث . وأسهموا فيها ، من مثل (الفرد روسل والس) المادى الذى بلغ من ماديته أنه قد شارك دارون فى التوصل إلى نظرية التطور ، وهى النظرية التى جعلت للإلحاد المعاصر أساسا قويا يعتمد عليه[٢] .

هذه بعض الحقائق عن وضع الأبحاث الروحية فى نطاق الجهود المعاصرة ، آية على انتكاسة الفكر المادى ، فى منطق العلم .

ويعبر أحد العلماء الألمان المشهورين ، وهو (كارل دوبرل) عن اتجاه العلوم الطبيعية إلى بحث الروح والنفس ، بعد نكران ، فيقول : (إن العلوم الطبيعية قد تجرأت على نكران خلود النفس ، فعاقبها الله بأن حكم عليها بأن تكون هى نفسها التى تقيم على ذلك الخلود البرهان القاطع ، ماهى تلك العقبة التى اصطدم بها مذهب المادة فارتد طرفه خاسئا وهو حسير ؟ هى ظهور طائفة الروحيين) »[٣] .

---

(١) محمد فريد وجدى ، حياته وفلسفته د/ محمد على عز العرب السماحى ، صـ٢٣٨ ، رسالة دكتوراه ، مخطوطة

(٢) محمد فريد وجدى حياته وفلسفته ص ٢٣٨

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ ، وهو ناقل عن : محمد فريد وجدى ، فى كتابه : الحديقة الفكرية فى إثبات الله بالبراهين الطبيعية ، ص ٥٦

إن الأبحاث الروحية ، مهما قيل فى دقتها ونتائجها ، ومهما قيل فى باعثها وغايتها(١) ، لا شك تمثل ردة قوية عن المادية المغرقة ، كما تمثل فى نفس الوقت اعترافا عليا بجانب من الوجود جافاه العلم أزمانا ، من حيث إنه ليس ماديا ، ولا يناله الحس والتجربة ، ولا يخضع لقوانين المادة وطرق بحثها . فعاد يطبق عليه منهجه ، بعد الإقرار به ، ويحاول الوصول فيه إلى نتائج ، مما أدى الأمر فى الغرب المسيحى إلى إنتشار الاهتمام بهذا الموضوع إنتشاراً كبيراً ، وكثر القائلون بالأرواح ، وصحة الحوادث التى تنتسب إليها ، وبلغ من هذا الانتشار وأهميته أن اضطر القائمون على أمر الكنائس المسيحية إلى بحث هذا الأمر ، والتعديل فى تعاليم الكنيسة ، حتى لا تخسر الأعداد المتزايدة من القائلين بالأرواح »(٢) .

والمحصلة العامة من إتجاه العلم والعلماء إلى مجال الروح ، هى أنه « قد تبين — على الأقل — أن الإمعان فى البحث عن حقيقة المادة يؤدى بنا إلى الحقيقة المجردة ، وينتهى بنا إلى التسليم بكائنات (لامادية) ، تخالف ما كنا ندركه من صور المادة المحسوسة ، ولابد من الحقيقة المجردة ، إلى جانب الحقائق الاعتبارية ، أو الحقائق التى يقاس بعضها إلى بعض ، ولا تستقل بذواتها عن وجود آخر وراءها ، يسميه علماء المادة أنفسهم

---

(١) راجع : محمد فريد وجدى حياته وفلسفته ، ص ٥٧٨ وما بعدها ، حيث أشار الباحث إلى ظاهرة الروحية المتمثلة فى التنويم المغناطيسى ، وتحضير الأرواح ، وحاول إثبات عدم علميتها ، وصلتها بالصهيونية ، وراجع : الدين فى مواجهة العلم ، هامش ص ٥٤٧ ففيه إشارة إلى فكرة مشاهدة الروح واحضارها فى مصر والعالم العربى والإسلامى

(٢) الفكر المادى الحديث . . . ، ص ٥٠٦

وجوداً لامادياً ، للتمييز بينه وبين الموجبات والسوالب والمحايدات وسائر الإضافات »(١) .

وبذا أكد العلم تأكيداً قاطعاً أن الحقيقة المجردة عن المادة موجودة وجوداً استقلاليا عن المادة ، وأن الإنسان بذلك ليس هو الجسم المادى فقط، أو أنه فى كل تركيباته مادة ، فأبطل زعم الماديين أن الروح ليست شيئاً خارجياً (عن الجسم) ، فكما يحدث تأثير معين من تركيب عقاقير فى دواء واحد ، وكما تخرج موسيقى معينة بضرب الأوتار بترتيب معين ، كذلك يوجد بتركيب العناصر على نمط معين مزاج خاص هو السبب فى الإدراك والتخييل الفكرى ، وهو ما نسميه الروح »(٢) . فالروح من خواص المادة ، وليست شيئاً وراءها ، هكذا يزعم الماديون .

جاء العلم يدحض هذا الزعم الحسى المغالى ، ويقرر وجود الروح ، على نحو مغاير للبدن ، إذ لو ، كانت الروح مظهراً من مظاهر الجسم لكان من الواجب أن تخضع هذه الروح لقوانين الزمان والمكان مثل خضوع الجسم لها ، ، وحيث أن التجربة تثبت قطعياً أن هذا غير صحيح بالنسبة للروح دون الجسم ، فإن الذى لابد من قوله : أن للروح وجود آخر غير الجسم ، يختلف عن نوعيته ، ومنفصل فى وجوده .

إن علاقة الجسم بالروح تختلف تماما عن علاقة النغمة الموسيقية بآلتها والحركة بماكينتها ، وإلا لا نسحبت عليها نفس القوانين التى تخضع

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٠٧ ، وهو ناقل عن المرحوم عباس العقاد من كتابه : الله ، ص ٤١١ ، ط ٥ ، دار المعارف .

(٢) الدين فى مواجهة العلم ، ص ٤٢

لها النغمة والحركة ، ولكن القوانين التي تنسحب على الجسم لا تنسحب على الروح »(١) .

وقد أكد هذا الاختلاف البين بين الجسم وبين القوى غير الجسمية ، ومنها النفس ، علم النفس الحديث ، لمـــا اكتشف علماء النفس ما أسموه (اللاشعور ، أو ماوراء الشعور) . « والذي يحتوى على الجزء الأكبر من المخ الإنساني المختزن للمعلومات ، وقد أصبح من المسلمات الآن . أن الأفكار التي يعلوها اللاشعور تبقى فيه حتى نهاية الحياة »(٢).

وعمل هذا اللاشعور مستقل عن حدود الزمان ، فإن الدوافع الحبيسة التي لم تخرج قط عن اللاشعور ، وحتى التأملات الخيالية التي دفنت في اللاشعور تكون أزلية في الحقيقة والواقع ، وتبقى محفوظة لعشرات السنين ، وكأنها لم تحدث إلا بالأمس .

إن كون عمل اللاشعور مستقلا عن حدود الوقت (الزمان) يبين أن اللاشعور وجود منفصل عن الجسم ، لأن من المسلمات التي أجمع عليها كل العلماء أن الجسم خاضع لقوانين الزمان والمكان (البعد) ، وكل مظاهر الجسم تقع في نطاق هذه الحدود »(٣)، الزمانية والمكانية .

هذا ماقرره علم النفس الحديث، على لسان واحد من أهم وأبرز رواده ، إن لم يكن هو مؤسسه الحقيقي ، وهو (سيجموند فرويد) رائد التحليل النفسي دون منازع، والذي أهتدى من خلال دراساته النفسية إلى مايعرف الآن في علم النفس (باللاشعور) ، فـ « مهما يكن من شيء ، فإن علماء

---

(١) الدين في مواجهة العلم ، ص ٤٤

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٣

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٤

النفس المحدثين يشيرون إلى (سيجموند فرويد) الطبيب النمسوي (١٨٥٦ – ١٩٣٩) على أنه صاحب الفضل في الكشف عن هذا الجانب الخفي المعتم في النفس البشرية، وهو اللاشعور، بعد أن كان مجهول الأثر في الحياة النفسية بشكل عام»(١).

وقد كان من المعتقد أنه يمكن أن يكتفي علم النفس بالبحث في الظواهر المشهودة المعروفة والظاهرة، بيد أن ذلك قد ثبت قصوره، واضطر علم النفس على يد فرويد «أن يراجع نفسه، ويحاول أن يغوص إلى ما تحت السطح الهادئ للحياة النفسية وكيف لا يفعل هذا، وقد أضحى ما نعرفه عن عقولنا وعواطفنا مجرد قشرة سطحية، تخفي وراءها عالمًا آخر»(٢).

ويقرر فرويد أنه «لا شيء في اللاشعور يطابق الفكر الزمني، ولا يوجد فيه أي أثر لمضي الوقت ومروره، وهي حقيقة مثيرة، ولم يحاول الفلاسفة أن يتأملوا حقيقة أن مضي الزمن لا يحدث أي تغيير في العمل النفسي»(٣).

إن تقرير علم النفس هذا يؤيد حقيقة مهمة، هي أن الشخصية الإنسانية تعني عدم التغير في عالم متغير، بوصفها جوهرة نورية ثابتة، لا تقع تحت سلطان قوانين المادة والماديات المتغيرة بتغير الزمان والمكان

(١) قراءات إسلامية في علم النفس العام، د/ محمد عبد الفتاح عبد العزيز، ص ٥٤

(٢) قراءات إسلامية في علم النفس العام، د/ محمد عبد الفتاح عبد العزيز، ص ٥٣

(٣) الدين في مواجهة العلم، ص ٤٣

وفوق ذلك فإن الكشوف الحديثة قد فتحت آفاقاً جديدة من الوقائع والحقائق، التي يمكننا أن نعول في ضوئها على أن وجود الروح — ككائن مستقل، وبقاءها بعد فناء الجسم — لم يعد قضية وجدانية، بل أصبح حقيقة يمكن إثباتها بالدليل التجريبي.

لقد كشف لنا العلم أن الجسم يتركب من خلايا متغيرة في الوجود تقريباً، وهذه الخلايا تتحطم وتفنى في كل آن، والغذاء يعوض أجسامنا ويبلغ متوسطه في جسم الإنسان ٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,١٠٠ خلية، من تلك الخلايا التي تفقدها كل يوم، فكأن الجسم بناء يتألف من مئات الملايين من قوالب الطوب . . .

ولو كانت الروح مظهراً من مظاهر الجسم فقط، وجب أن تطرأ عليها التغيرات بمجرد حدوث التغيرات في الجسم، تماماً كما تتأثر ماكينة بأكملها بمجرد أن ينكسر أحد تروسها، وكما تتأثر آلة الموسيقى بكسر وتر واحد من أوتارها.

ولكن هذا لا يحدث فيما يتعلق بالروح، فالروح إذن شيء آخر غير الجسم، ولها وجودها المستقل»(١).

ومن ثم فالقول ببقائها بعد الجسم قول يميل عليه العلم ميلاً كبيراً، بل صرح به كثير من الباحثين في الدراسات النفسية، وتأدى بهم الأمر إلى القول بالحياة بعد الموت، «ومنهم على سبيل المثال، البروفيسور س. ج. دوكاس . . . الذي بحث الجوانب النفسية والفلسفية من نظرية الحياة بعد الموت . . . وعلى الرغم من أن . . . دوكاس لا يؤمن بالحياة بعد الموت —

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٥، ٤٦.

كعقيدة دينية ... إلا أنه يعترف بأن هناك شواهد تؤكد بقاء الحياة بعد الموت بعيداً عن كونه عقيدة دينية »(١).

ومن تصريحاته في ذلك : « (... يتضح ... أن عقيدة بقاء الحياة بعد الموت ... التي يؤمن بها الكثيرون ... كعقيدة دينية ... ليس من الممكن أن تكون واقعاً فحسب ، وربما لعلها هي الوحيدة من عقائد الدين الكثيرة التي يمكن إثباتها بالدليل التجريبي) »(٢) .

وهو يعزو نفس هذا الرأي إلى كثير غيره من العلماء ، حيث قال : « (لقد قام بعض من أذكى علمائنا وأكثرهم خبرة بمطالعة الشهادات المتعلقة بالمسألة (أي بقاء الروح وإمكان الحياة بعد الموت) ، وفحصوها بنظرة دقيقة ، وقد توصلوا آخر الأمر إلى أن هناك شواهد كثيرة ، تجعل فكرة بقاء الروح نظرية معقولة ، وممكنة الحدوث ، وهم يرون أنه لا يمكن تفسير تلك الشواهد إلا على هذا النحو) »(٣) .

وها هو د. أحد العلماء التجريبيين الأمريكيين المعاصرين ، المشتغل في ميدان العقول الالكترونية ، وهو (كلود م . هاثاواي) يتحدث عن اللاماديات ، فيقول : « وإني أسلم بوجود اللاماديات ، لأني بوصفي من علماء الفيزياء أشعر بالحاجة إلى وجود سبب أول غير مادي .

إن منطقي يسمح بوجود غير مادي ، لأنه بحكم تعريفه لا يمكن إدراكه بالحواس الطبيعية ، فمن الحماقة إذن أن أنكر وجوده ... وفوق

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٦ ، ٤٧

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٧ ، ٤٨

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٧

ذلك لأن الفيزياء الحديثة قد علمتني أن الطبيعة أعجز من أن تنظم نفسها أو تسيطر على نفسها»(١).

إن الرجل هنا صريح في الاعتراف بغير المادي، وصريح كذلك في أن الوجود لا يمكن أن يكون في أساسه ماديا، بل لابد له من سبب غير مادي.

ويؤدي كل ذلك، أن اللاماديات مثل الروح والنفس تجد في فلسفته وفكره مكانا مكينا، بل ترقى به فلسفته إلى القول بأن «مصمم هذا الكون لا يمكن أن يكون ماديا، وإني أعتقد أن الله لطيف غير مادي»(٢).

وعالم أمريكي آخر، هو (بول إرنست أدولف)، الطبيب والجراح، يقول، استنتاجا من خبراته في مجال الطب والجراحة والعلاج: «لقد أيقنت أن العلاج الحقيقي لابد أن يشمل الروح والجسم معاً، وفي وقت واحد»(٣). أي الشقين المادي والروحي للإنسان. وذلك منه إقرار بأن الإنسان ليس هو الجسم فقط، بل هو الجسم مع الروح.

تلكم هي الحقائق العلمية الناصعة، التي انبنيت على أبحاث العلم ومقرراته، تشهد بأن الوجود ليس هو المادة فقط، وليس في أساسه مادة فقط، بل اللامادي قسيم المادي، وصنوه المفترق كل التفرق.

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم، ص ٩٠
(٢) » » » » » ، ص ٩٠
(٣) » » » » » ، ص ١٣٩

فالواحدية المادية التي يعتصم بها الفكر المادي قد انقصمت من أساسها ، وبانت الثنائية تقتحم عليه معاقله ، من نوافذ العلم المتصدعة ومن أبواب الفكر المادي نفسه .

وحقيقة ، فإنه كثيراً ما كان ، يطيب للماديين المحدثين أن يتحدثوا باسم العلم ، ولكنهم في الحقيقة يسيئون استخدام العلم »[1] .

وهنا تكمن مأساة الفكر المادي ، والحديث منه خاصة ، الذي يتشدق دائماً في غيه وضلاله، بزعم العلم ويدعي العلمية والعلم قد جافاه ، والعلمية قد هجرته .

إن إقرار الماديين وأرباب العلم بعالم فائق للمادة ، يتحتم معه انشطار الوجود إلى مادة ، ولا مادة ، ويؤدي إلى نقض فكرة الماديين عن الوجود ، في أنه مادي في أصله وتنوعاته .

ولنا فيما يأتي من نقاط النقد والمناقشة المزيد والمزيد مما يعصف بالفكر المادي يهده ويهز دعائمه من أساسها .

---

(١) تمهيد للفلسفة ، ص ٢٠٤

المادة خالقة لا مخلوقة :

ذاك زعم آخر من مزاعم الماديين الإلحاديين الذى منه تنبعث فكرة الخلق الإلهى ، والإطاحة بأهم قضية عقدية ، لدى المتدينين بعامة .

ولكى نعطى تصوراً إجمالياً عن هذا الزعم ، نقول :

إن الماديين ، وإن سلموا بأن المادة ليست أزلية ، وتوافقوا مع العلم فى ذلك ، إلا أنهم عاجزون عن أن يجعلوا لها رمزاً أو إشارة لمنظم ومدبر .. فإذا بهم يرون أن كل هذا حدث نتيجة (صدفة عمياء) .

واستمع إلى قول (هكسلى) : (لو جلست ستة من القرود على آلات كاتبة ، وظلت تضرب على حروفها لملايين السنين ، فلا نستبعد أن نجد فى بعض الأوراق الأخيرة التى كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير .. فكذلك كان الكون الموجود الآن ، نتيجة لعمليات عمياء ، ظلت تدور فى المادة لبلايين السنين)(١) .

فإذ كان الكون حاصلا بمحض الصدفة ، فالخلق الإلهى مرفوض ، وتبدو المادة فى هذه الحالة غير مخلوقة ، ثم هى أيضاً خالقة ، لأنه إذا رفضت فكرة الخلق الإلهى المقصود ، لم تبق إلا فكرة خالقية المادة .

فكأن هذا الزعم ، يبنى فى أحد أركانه على الصدفة العمياء ، ومن ثم ستكون مناقشتنا متجهة إلى هدم مبدأ الصدفة .

ونحن النظر عن المثال الآنف ، الذى ساقه هذا المادى (هكسلى) ، والذى ينطوى على سذاجة شديدة ، وضحالة عقلية لا تليق بعقلية فيلسوف

---

(١) الإسلام يتحدى ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

فإننا واجدون في منطق العقل والعلم المستند الفوري لرفض مبدأ الصدفة بعامة، ورفضه كسبب بتفسير الوجود والحياة والأحياء بخاصة.

من الوجهة النظرية: يتراءى مبدأ الصدفة، قاصراً عن تفسير نشأة العالم، وتكوين الوجود، ذلك أن الصدفة لا تجري على نظام، ولا تدعو إلى تقدم، مع أن كل ما في الوجود منظم، لا عشوائية فيه.

الصدفة هي شيء بدون قصد ولا غاية. وكل ما في الوجود مقصود وموضوع لغاية محددة، وهدف محدد

الصدفة لا تتكرر، فهو فرض مستحيل، ولو سلمنا جدلا أنها قد تؤدي إلى النظام مرة، فليس يعقل أن تكون هي سبب تحقق النظام في جميع الكائنات، وسبب استمراره واطراده.

وبمعنى أوضح فإننا نتساءل: لماذا تحققت النظم في الكون، بعد أن وجد مصادفة واتفاقاً، ولماذا لم يسرع الخلل إليه، وظهرت فيه الفوضى وهي مثل النظام، ومناظرة له بالتساوي في احتمال الوقوع؟

هذا هو حديث العقل عن الصدفة ويهدم من أساسها (١) فالعقل لا يسيغ منطقيا مبدأ المصادفة في أساسه، فضلا عن أن يسمه علة لنشأة نظام كوني، مرتب غاية الترتيب، دقيق غاية الدقة، يشهد كل أدوات المعرفة وعناصرها.

إن قانون المصادفة يشير إلى أنها تتناسب تناسباً عكسياً مع الإمكانات التي تصدق عليها فإن حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص بنسبة معكوسة، مع عدد الإمكانات المتزاحمة، فكلما زاد عدد الأشياء المتزاحمة

---

(١) العقيدة الإسلامية . د/ سعد الدين صالح، ص ١٦٩.

ازداد حظ المصادفة من النجاح، وكلما كثر عددهم قل حظ المصادفة»(١).

فهل يمكن في ضوء هذا القانون أن تحظى المصادفة مبدأ تفسر به الحياة، بشكل تنوعاتها وتراكماتها وتكثرها وتراكبها؟ هل يمكن للمصادفة أن تشمل هذا العالم الرحب الممتد، الفاصل بالكائنات والأشياء والمنطوي على أكمل نظام، وأوفى تناسق؟

وعلى سبيل المثال: «لو أحضرنا ورقتين، وكتبنا على الأولى الحرف (أ)، وعلى الثانية الحرف (ب)، وطلبنا من الطفل الأعمى أن يكون منهما كلمة (أب)، فإن احتمال المصادفة ممكن جداً.

فإذا كتبنا على ورقة ثالثة الحرف (ت)، وعلى رابعة حرف (ث) وأعطينا الطفل الورقات الأربع، وطلبنا نفس الطلب، فإن المصادفة تقل قليلا.

أما لو كتبنا حروف الهجاء كلها، كل حرف على ورقة، وطلبنا نفس الطلب، فإن المصادفة تقترب من الاستحالة.

أما لو صعدنا الموقف وطلبنا من الطفل أن يكون من الحروف التي معه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فإن المصادفة تكاد تكون مستحيلة، لأن التزاحم أصبح بين ثمانية وعشرين حرفا والمطلوب جملة معينة.

فإذا ترقينا بالموقف أكثر وأعطينا رجلا عاقلا مبصرا صندوقا به مئات الآلاف من حروف الطباعة، وطلبنا منه بعد إغلاقه أن يستمر في تحريكه لأي مدة شاء، وليأت لنا في النهاية بقصيدة لامرئ القيس، أو لعنترة، فهل يمكن بالمصادفة أن يحدث ذلك؟

(١) قصة الإيمان، نديم الجسر، ص ٢٩٣

إننا نقول لمن يجب عليهم أن يبدأ بإجراء التجربة من بداية عمره وليقل لنا ما هي النتيجة ؟

وإذا كانت المصادفة مع الأشياء المتواضعة المحدودة مستحيلة فكيف يتصور عاقل حدوث هذا الكون بالمصادفة ؟!(١).

هذا من وجهة النظر العقلية، أما من وجهة النظر العلمية، فإن العلم قد أكد على أن المصادفة لا يمكن أن ينسب إليها دور في نشأة الكون وتكونه، ولنستعرض هنا بعض تصريحات العلماء التجريبيين في شأن المصادفة، وفي ذلك نقول: إن العلم الآن يأخذ بمبدأ المصادفة، أو نظرية المصادفة في تفسير الظواهر التي لا تتوافر عنها معلومات مؤكدة، حيث أصبح لها من الأسس الرياضية ما يجعلها تنطبق على نطاق واسع، حيث يتعذر الحكم الصحيح المطلق، وتعطي نظرية المصادفة علينا حكما أقرب إلى الصواب، مع افتراض تقدير الخطأ.

ومع ذلك، فإن المصادفة لا تقوى علميا على تقديم تفسير لوجود الكون، ونشأة الحياة، ويعطينا عالم الطبيعة الأمريكي (فرانك ألن) مثالا على ذلك، فيقول: «إن البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية، وهي تتكون من خمسة عناصر هي: الكربون، والأيدروجين، والنتروجين، والأكسجين، والكبريت.

ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد ٤٠٠٠٠ ذرة. ولما كان عدد العناصر الكيماوية في الطبيعة ٩٢ عنصرا، موزعة كلها توزيعا عشوائيا، فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة، لكي تكون جزيئا من جزيئات البروتين، يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط

---

(١) نظرات في العقيدة الإسلامية، د/ محمد الأنور حامد ص ٣١، ٣٢

حافظاً مستمراً ، لكي تتآلف هذه الجزيء، ثم تعمره طوال الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد.

وقد قام العالم الرياضي السويسري (تشارلز يوجين جاي) بحساب هذه العوامل جميعاً فوجد أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتيني واحد إلا بنسبة ١ إلى ١٠ ^{١٦٠} ، أي بنسبة ١ إلى رقم عشرة مضروباً في نفسه ١٦٠ مرة وهو رقم لا يمكن النطق به ، أو التعبير عنه بكلمات.

وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد أكثر مما يتسع له هذا الكون بملايين المرات .

ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة — بلايين لا تحصى من السنوات قدرها العالم السويسري بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين (١٠ ^{٢٤٣} سنة).

إن البروتينات تتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية ، فكيف تتآلف ذرات هذه الجزيئات ؟

إنها إذا تآلفت بطريقة أخرى غير التي تتآلف بها ، تصير غير صالحة للحياة ، بل تصير في بعض الأحيان سموماً .

وقد حسب العالم الإنجليزي (ج . ب . ليثز) . الطرق التي يمكن أن تتآلف بها الذرات في أحد الجزيئات البسيطة من البروتينات ، فوجد أن عددها يبلغ الملايين (١٠ ^{٤٨} مرة). وعلى ذلك فإنه من المحال عقلاً أن تتآلف كل هذه المصادفات لكي تبني جزيئاً بروتينياً واحداً .

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ، ٩ - ١٠

ولكن البروتينات ليست إلا مواد كيماوية عديمة الحياة، ولا تدب فيها الحياة إلا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذي لا ندرك من كنهه شيئاً، إنه الخالق اللانهائي، وهو الله وحده، الذي استطاع أن يدرك ببالغ حكمته أن مثل ذلك الجزيء البروتيني يصلح لأن يكون مستقراً للحياة، فبناه وصوره، وأغدق عليه سر الحياة»(١)

تلك نظرة العلم إلى المصادفة، وهي تقضي للوهلة الأولى باستحالة أن يكون لتلك المصادفة أي أثر في نشأة الحياة والأحياء.

والواقع أن إقحام المصادفة في تعليل نشأة الوجود، يقتضي عدة افتراضات، منها:

١ ـ افتراض أن المادة وجدت بذاتها في الكون، دون ما مؤثر خارج عنها.

٢ ـ افتراض أن اجتماعها وتفاعلها، كان كذلك من ذاتها، وبصفة تلقائية.

وتلك لعمري افتراضات، تقف دون التسليم بها عقبات عقلية وعلمية لا يستطاع إزاحتها، إلا بافتراض آخر، وهو أن يتخلى العلم عن مقرراته، والعقل عن مبادئه.

وهبنا أن المقام مقام افتراضات، فلا بأس من الاسترسال معها، فلو افترضنا أن المادة وجدت بنفسها في الكون، وافترضنا أن تجمعها وتفاعلها كان من تلقاء نفسها (ولست أجد أساساً لأقيم عليه هذه الافتراضات) ففي تلك الحال أيضاً لن نظفر بتفسير الكون.

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم، ص ٩، ١٠

فأي صدفة أخرى تحول دون طريقنا . فلو فرضنا أن الرياضيات التي تعطينا نكتة الصدفة الخبيثة ، هي المصدر التي تنفي أي إمكان رياضي لوجود الكون الحالي ، بنص قانون الصدفة .

لقد استطاع العلم أن يكشف عن عمر الكون وضخامة حجمه ، والعمر والحجم اللذان كشف عنهما العلم الحديث غير كافيين — في أي حال من الأحوال — لتسويغ إيجاد هذا الكون عن قانون الصدفة الرياضي (١) مهما بلغ من الدقة والإحكام .

وقد رأينا أن الحسابات الرياضية لتكوين جزيء بروتيني واحد تفوق الخيال ، والجزيء البروتيني يمثل جزءاً صغيراً من الخلية الحيوانية ، بل هو « ذرة لا يمكن مشاهدتها بأقوى منظار ، بينما نعيش وفي جسد كل فرد منا ما يربو على أكثر من مئات الملايين من هذه الخلايا » (٢) ، فهل هو الإعجاز الإلهي ، أو الصدفة العمياء ؟ .

ومن التأكيدات التي أمدنا بها العلم على انتفاء أية مصادفة في نشأة الكون قول (دي نواي) : (لا بد ألا ننسى أن الأرض لم توجد إلا منذ بليونين من السنين ، وأن الحياة — في أي صورة من الصور — لم توجد إلا قبل بليون سنة ، عندما بردت الأرض)

هذا : وقد حاول العلماء معرفة عمر الكون نفسه وأثبتت التجارب في هذا الموضوع أن كوننا موجود منذ .... سنة وهي مدة قصيرة جداً ، ولا تكفي — على أي حال من الأحوال — لخلق

---

(١) الإسلام يتحدى ، ص ١٠٠
(٢) « « « ١٠٣

خلق إمكان ، يوجد فيه الجزىء البروتينى ، بحسب على قانون الصدفة الرياضى»(١) .

فكيف بهذا الكون الهائل ، المشحون بالكائنات والأحياء ، و شكل مليون من أنواع الحيوانات ، وأكثر من ٢٠٠،٠٠٠ ألف نوع من النبات ؟

وكيف انتشرت هذه الكمية الهائلة على سطح الأرض ، في كل مكان ؟

ثم كيف جاء من خلال هذه الأنواع الحيوانية ذلك المخلوق الأعلى الذي نسميه الإنسان ؟»(٢) .

فالواقع أن قانون الصدفة يثير من التساؤلات أكثر مما يعطى من إجابات ، بل إن أصح ما قاله عالم مجرب في شأن هذا القانون ، هو ما قاله «عالم الفضاء الأمريكي (مارلين . ب . كريدر) : (إن الإمكان الرياضي في توفر العلل اللازمة للخلق — عن طريق الصدفة — في نسبها الصحيحة هو ما يقرب من لا شيء)»(٣) .

إن العلماء ، وقد لمسوا العناية و الدقة والنظام في الكون ، لا يجدون فسحة من عقولهم أو أعمالهم لإسناد أي عمل للصدفة في الكون ، فضلا عن شأنه ، «فهل يتصور عاقل أو يفكر أو يعتقد أن المادة المجردة من العقل والحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة ؟ أو أنها هي التي أوجدت هذا النظام وتلك القوانين ، ثم فرضته على نفسها ؟

---

(١) الإسلام يتحدى ، ص ١٠٤ ، ١٠٥

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٦

(٣) المصدر السابق ص ١٠٧

لا شك أن الجواب سوف يكون سلبيا ، بل إن المادة عندما تتحول إلى طاقة ، أو تتحول الطاقة إلى مادة ، فإن كل ذلك يتم طبقا لقوانين معينة ، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة المعروفة التي وجدت قبلها »(١) .

« فضلا عن عشوائية أو تلقائية ، وإنما قصد وعناية وتصميم ، تبين من معنى ومظاهر الكون من التفاعلات الدقيقة ، والحركة المنتظمة ، والخضوع لقوانين ثابتة .. ليست إلا دليلا وشاهدا على أن الكون منظم غاية التنظيم ، ما أطلق عليه (مجرد) نظرية كان الكون »(٢) .

والمعتقد العلمي الآن ، هو أن الكون أكثر ما يكون نظاما وترابطا وتناسقا ، ومعتقد كهذا من شأنه إلغاء فكرة المصادفة ، وتنحيتها كعامل فاعل في حركة الكون ونظامه .

إن من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر العلمي المنطقي على أن مجرد تجمع بعض الذرات والجزيئات عن طريق المصادفة ، يمكن أن يؤدي إلى ظهور الحياة وصيانتها بالصورة التي شاهدناها في الخلايا الحية .

وللشخص مطلق الحرية في أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة ، فهذا شأنه وحده ولكنه إذ يفعل ذلك ، فإنه يسلم بأمر أشد إعجازا

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ، ص ٢٤ ، والكلام لعالم الكيمياء والرياضة الأمريكي د . جون كليفلاند كوثران .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٦ ، والكلام لأخصائي علوم الحيوان والنباتات والبيولوجيا الأمريكي ، بورس كولتون زركر

وصعوبة على العقل من الاعتقاد بوجود الله ، الذي خلق هذه الأشياء ودبرها »[١] .

فالزاعمون الصدفة يحملون العقل فوق طاقته ، ويضعونه أمام تصور صبير ، لا يكاد يدانيه وضعه أمام تصور الخلق الإلهي للكون .

« إن التصميم أو النظام أو الترتيب ، أو سمها ما شئت ، لا يمكن أن تنشأ إلا بطريقتين : طريق المصادفة ، أو طريق الإبداع والتصميم .

وكلما كان النظام أكثر تعقيداً ، بعد احتمال نشأته عن طريق المصادفة ونحن في خضم هذا اللانهائي ، لا نستطيع إلا أن نسلم بوجود الله »[٢] .

وفي الحق : فإن روعة التصريحات العلميـــة في معرض الحديث عن المصادفة ، تغرى بالاستزادة منها ، كما تغرى بقدر أشد أن نترك التعليق عليها ، حيث هي لا تفتقر إلى أي تعليق .

ومن باب الاستزادة ، نورد قول البروفسيور (إيدوين كونكلين) :
« (إن القول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاق شبيه في مغزاه بأن نتوقع إعداد معجم ضخم ، نتيجة انفجار صدفى يقع في مطبعة) »[٣] .

ونورد قول عالم الطبيعة الأمريكي (جورج إيرل ديفيس) .
« (لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه ، فإن معنى ذلك أنه يتمتع

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ، ص ٧٧ والكلام لأخصائى علم الأحياء والنباتات الأمريكى (رسل تشارلز آرنست) .

(٢) المصدر نفسه ص ٩٠ والكلام ، لأخصائى الآلات الكهربية ، (كلود م . هاثاواى) - الأمريكى .

(٣) الإسلام يتحدى ص ٩٩

بأوصاف الخالق ، وفى هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الإله .

وهكذا ننتهى إلى التسليم بوجود الإله ، ولكن إلهنا هذا سوف يكون عجيبا : إلها غيبيا وماديا فى آن واحد .

إنى أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذى خلق العالم المادى ، وليس بجزء من هذا الكون ، بل هو حاكمه ومدبره ، بدلا من أن أتبنى مثل هـذه الخزعبلات) »(١) .

ونورد قول عالم الكيمياء الأمريكى (واين أولت) :

« نستطيع فى ضوء خبرتنا العلمية أن نتقدم بالسؤال التالى : هل تم اختراع جهاز الرادار نتيجة المصادفة ؟ أم عن طريق التصميم والاختراع ؟

ثم هل تم تكوين جهاز الرادار الموجود بجسم الوطواط . والذى لا يحتاج من الحيوان إلى إنتباه ، ولا يتطلب منه إصلاحا ، والذى يستطيع أن يورثه لذريته عبر الأجيال .

نقول : هل تم كل ذلك عن طريق المصادفة ؟ أم عن طريق التصميم والإبداع ؟

إن الخبرة العلمية للإنسان تقوم على التصميم وعلى إدراك الأسباب ، وعلى ذلك ، فإن المشتغل بالعلوم هو أول ما يجب عليه التسليم منطقيا بوجود عقل مبدع ، لا حدود لعلمه أو قدرته ، موجود فى كل مكان ،

---

(١) الإسلام يتحدى صـ ١٠٨ ، ١٠٩

يحيط مخلوقاته برعايته ، سواء فى ذلك الكون المتسع ، أو كل ذرة أو جزئية من جزئيات هذا الكون اللانهائية ، فى تفاصيلها الدقيقة »(١) .

إن المصادفة التى اعتصم بها الماديون فى تعليل نشأة الكون والحياة ، قصداً إلى رفض فكرة الخالق الإلهى المقصود ، وإقرار مبدأ عاقلية المادة لنفسها ، ولسائر مايشتمل عليه الوجود من كائنات وأشياء ، هذه المصادفة لا تجد مساغاً من عقل سليم ، أو علم صحيح ، ومن ثم فليس يستقيم لا عقلا ولا واقعا ، ما يقوله الماديون على لسان أحدهم ، برانرند راسل : « ليس وراء نشأة الإنسان غاية أو تدبير ، إن نشأته وحياته ، وآماله ومخاوفه ، وعواطفه وعقائده ، ليست إلا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة »(٢) العمياء والاتفاق المحض .

ولربما يكون أبلغ رد على مثل هذا الكلام ، ما قاله وحيد الدين خان فى معرض مناقشة مبـــدأ الصدفة ، فبعد أن وصم القول به بالسخف والصلافة ، يقول : « ومثاله كمن يزعم أن سقط كوب مملوء بالماء أو بالقهوة ، سوف يرسم خريطة العالم على الأرض(٣) .

إن الصدفة هذه بحاجة إلى صدفة أخرى تسوغ أثرها فى الوجود نشأة وتنوعا وهذه بدورها بحاجة إلى صدفة تسوغها ، وهكذا إلى ما لا نهاية . وتقع فى التسلسل المحال ، على حد تعبير علماء الكلام .

إن افتراض الصدفة فى إيجاد الكون ، لا يفوق عقلا ولا علما افتراض وجود الكون من خالق ، بل إن افتراض الخلق الإلهى يتسق مع

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ١٣٢

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٥١

(٣) الإسلام يتحدى ص ١٠٧

العقل والعلم دون ما صعوبات أو غمميات ، ومن ثم يكون فرضاً علمياً ونظرياً قابلا للتحقق بل هو قد تحقق بالفعل .

إن نظرية المصادفة ، ومعها نظرية العلية الميكانيكية « اللتان وجدتا فى غمرة الكشوف العلمية فى الماضى ، قد حرمتا اليوم من ... اليقين .

إن الكشوف الجديدة بدلا من أن تدعم بنيانها تهزهما أكثر فأكثر ، والعلم نفسه يقوم بإبطال النظريتين رويداً رويداً »(١) .

وحيث بطلتا ، فالخلق الإلهى ، والتدبير الإلهى هما قانون الوجود دون منازع جل الخالق ، وحيا الله العلم المنصف ، وليذهب الماديون بالخسران المبين .

---

(١) تمهيد للفلسفة صـ ٢١٤